

كتابات المنصفين من غير المسلمين في الرسول محمد صلى الله عليه وسلم د. مصطفى بن واز*

الملخص:

كلما ذكر اسم محمد - صلى الله عليه وسلم- ، ذكر اسم الكمال البشري، وإذا كانت محبته قد نقشت في قلوب المسلمين، فإن البعض من غير المسلمين اعترفوا بعظمة نبي الإسلام، في حين أن بعض المسلمين قد أساءوا بعلم أو بغير علم، مما أعطى انطباعا سيئا عن الإسلام ونبيه لدى الغرب الذي تحاول بعض نخبه إلصاق كل نقيصة بالإسلام.

Abstract:

Whenever mentioning the name of Muhammad - peace be upon him, the perfect human is mentioned, and if his love is engraved in the hearts of Muslims, Some of the non-Muslims acknowledged the greatness of the Prophet of Islam, but As Muslims we have offended some of us knowingly or unknowingly, which gave a bad impression about Islam and its Prophet in the West who are trying to make a part of the elite all demerit Islam.

* - أستاذ باحث في التاريخ الإسلامي بقسم التاريخ، جامعة بشار. الجزائر.

مقدمة:

إن توالي الأحداث في العالم وانعكاساتها السلبية على المسلمين و سيطرة المادة في ظل فراغ روحي عم العالم جعلت الناس في الشرق والغرب يبحثون عن الاطمئنان الروحي، مما زادهم شغفا لمعرفة الطريق إليه فوجدوا في الإسلام ضالتهم باعتباره الملاذ الآمن و وجدوا في نبيه المرشد الأمين باعتباره آخر الأنبياء و الرسل .

لقد انبرى ساسة الغرب و الشرق و فلاسفتهم و علماءؤهم من جهابذة العلم و أساطين المعرفة يبحثون عن حقيقة هذا النبي الذي جاء الإنسانية بالرحمة و النجاة " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " ¹ ، نجاة من أمواج الضلال التي تضرب هنا و هناك في إطار تسابق إعلامي موجه و سياسي حاقده ، تحركه أوساط إعلامية معروفة لا تريد الخير لهذا الدين و لا لنبيه و لا لأتباعه محاولة إستثارة الناس ضده خاصة منهم الرعاع في ظل ظروف مهيأة للأسف هيأها بعض المسلمين أو ساهموا في تهيئتها في ظل لامبالاة كبيرة.

ومع ذلك قيض الله ثلة من رجال الغرب لتبيين حقيقة النبي " محمد " - صلى الله عليه و سلم - لقومهم من بني جلدتهم حيث استطاعوا أن يوصلوا رسائلهم وإن لم يصرح بعضهم بإيمانهم بهذا النبي .

إن تحامل المتحاملين على رسول الإسلام ليس بالأمر الجديد فهو يعود إلى بداية الدعوة فبعد أن كان في " مكة " بين قومه صادقا أميناً أضحى ساحرا و مجنونا ، وكانوا هم يدركون هذه الحقيقة أي حقيقة أمانته و صدقه ولكنهم تعنتوا و تصامموا و أعدوا العدة للمواجهة ، ولكن الله سلم رسوله و بلغ دينه ، قال تعالى: " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " ² .

وكانت هجرة " الحبشة " محطة أخرى في مسار الرسالة الإسلامية، إذ وجد المسلمون السند من ملكها وهو نصراني، ومجيء نصارى " نجران " ³ إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - اعتراف آخر برسالة " محمد " وحين هاجر إلى " المدينة المنورة " " فكان أول من رآه رجل من اليهود قد رأى ما كنا نصنع وأنا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا فصرخ بأعلى صوته يا بني قبيلة هذا جدكم ⁴ قد جاء " ⁵.

وقصة إسلام " عبد الله بن سلام " قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله قال : " يا رسول الله إن اليهود قوم بهت فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي ، فجاءت اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أي رجل عبد الله بن سلام فيكم) . قالوا : خيرنا وابن خيرنا وأفضلنا وابن أفضلنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (رأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام) . قالوا : أعاده الله من ذلك فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، قالوا : شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال : هذا كنت أخاف يا رسول الله " ⁶.

فهذا غيض من فيض من اعتراف النصارى و اليهود بنبي الإسلام، وفي وقتنا الحالي هناك كثيرون من الشرق والغرب مم أنصفوا الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم في تزايد مستمر وهم من النخبة من شعوبهم عبر قارات العال، و حاولت التعرف على هؤلاء عن قرب من خلال كتاباتهم، ومن النماذج التي أردت أن أقف عندها الأمريكي " مايكيل هارت " صاحب مؤلف " الخالدون مئة "، و الإنجليزي " توماس كارليل " صاحب كتاب " محمد المثل الأعلى "، والفرنسي " ألفونسو دولامارتين " صاحب كتاب " تاريخ تركيا " حيث خصص الكتاب الأول لحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، والروسي "

ليوتولتستوي "صاحب كتاب "حِكم النبي محمد" وهذه الكتب كلها معربة ما عدا كتاب "تاريخ تركيا" الذي حاولت ترجمة بعض نصوصه.

فما الذي قاله هؤلاء في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ وما انعكاس ذلك على العالم ؟ وما حق نبينا علينا بعد موته ؟ وأين حقه من بيان حقوق الإنسان مادام بشرا ؟

1. ألفونسو دولا مارتين : كاتب وشاعر وسياسي فرنسي من مواليد أكتوبر (1204 هـ / 1790 م) توفي (1285 هـ / 1869 م) ، له مؤلفات عديدة في الشعر والأدب⁷ ، ولعل أهم ما ألفه كتابه "تاريخ تركيا" الذي يقع في ثمانية أجزاء خصص الجزء الأول منه للرسول - صلى الله عليه وسلم - والذي ستعاد كتابته ليأخذ هذا العنوان أي "حياة محمد" ، حيث يتعرض لفترة بعثته وحياته في "مكة" ، وفي خضم هذه الفترة التي عاشها "دولامارتين" ترك بصماته في الحياة الأدبية والسياسية ، وكان من النبلاء المرموقين حيث أعطاه ذلك حرية التحرك والاطلاع مما صقل شخصيته لمعرفة الآخرين.

وفي كتابته عن الرسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - يقول "لامارتين" "ما يلي : "من ذا الذي يجرؤ.....على أن يقارن أيا من عظماء التاريخ الحديث بالنبي في عبقريته....."⁸.

فرغم أنه حدد المجال الزمني بالحديث فهو يعتبر النبي من العظماء، إذ أرى من المستبعد جدا أن يقارن النبي بآخرين رغم أننا نحن المسلمين نراه عظيما على الإطلاق عبر كل الأزمان، وأن عظمته - صلى الله عليه وسلم - تكمن خاصة في خُلُقهِ مع جميع من تعامل معهم وهو ما وضحه الله تعالى في كتابه "وإنك لعلی خلق عظیم"⁹.

ويواصل "لامارتين": "فهؤلاء المشاهير قد صنعوا الأسلحة و سنوا القوانين وأقاموا الإمبراطوريات لم تلبث أن تحطمت بين ظهرانيهم"¹⁰.
 طبعا لأن هؤلاء أرادوا أمجاد الدنيا وبها رجبها على حساب القيم، وبلغوا ذلك بالقوة وإخضاع الرقاب. ويضيف قائلا: "لكن هذا الرجل يقصد "محمدا" - صلى الله عليه وسلم - لم يقدر الجيوش ويسن التشريعات ويقود الإمبراطوريات ويحكم الشعوب"¹¹، إن ما قام به - صلى الله عليه وسلم - بعيد عن القهر والزيغ والاستبداد لأنه أقنع العقول فملك القلوب ولا يملك قلوب الناس إلا من وفقه الله إلى ذلك.

ويضيف: "بل قاد الملايين من الناس فيما كان يعد ثلث العالم حينئذ"¹²، وهي إشارة إلى عدد المسلمين الذين ازداد عددهم بمرور الأيام وعددهم الآن يفوق (1.5) مليار نسمة. "ليس هذا فقط بل إنه قضى على الأنصاب والأزلام والمعتقدات الباطلة"¹³، وهي إشارة إلى وحدانية الله، وعبادته دون سواه وهي المهمة الأساس للإنسان في هذه الحياة، قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"¹⁴.

ويواصل "لامارتين" في الثناء على الرسول - صلى الله عليه وسلم - و صفاته و صدقه مما سهل له الوصول إلى غاياته: "إن ثبات محمد وبقاءه ثلاث عشرة سنة يدعو دعوته وسط أهله في قلب مكة ونواحيها ومجامع أهلها وشهامته وجراته وصبره فيما لقيه من عبدة الأوثان، وإن حميته في نشر رسالته وإن حروبه التي كان جيشه فيها أقل من جيش عدوه، وإن تطلعه إلى إعلاء الكلمة وتأسيس العقيدة الصحيحة..... كل ذلك يدل على أن محمدا كان وراءه يقين في قلبه وعقيدة صادقة تحرر الإنسانية من الظلم والهوان وإن هذا اليقين الذي ملأ روحه هو الذي وهبه القوة على أن يرد إلى الحياة فكرة عظيمة وحجة قائمة حطمت آلهة كاذبة..... وفتحت طريقا جديدا للفكر في

أحوال الناس ومهدت سبيلا للنظر في شؤونهم فهو فاتح أقطار الفكر ورائد الإنسان إلى العقل وناشر العقائد المحررة للإنسان و مؤسس لدين لا وثنية فيه" ¹⁵.

ليتساءل في الأخير وبكل مقاييس العظمة البشرية، يقول: "أي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثل ما أدرك محمد؟ وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ؟

2. تولستوي ليو: (29 صفر 1244 هـ _ 09 سبتمبر 1828 م / 28 ذو القعدة 1328 هـ _ 20 نوفمبر 1910 م) من الروائيين العمالقة الروس، عاش "تولستوي" 82 سنة مليئة بالحياة التي أعطت فكره وأدبه كل المشاعر التي كتب بها روائع أدبه وقال بها حديث الحكمة والفلسفة، وتبادل بها الرسائل مع كبار مفكري وأدباء العالم....كان حياة تتحرك وأدبا.....

وشهادته المنصفة في حق الرسول - صلى الله عليه وسلم - ناجمة عن معرفته بالإسلام الذي قرأ عنه وتبادل حوله الرسائل مع أئمة الإسلام منهم الشيخ "محمد عبده" ¹⁶.

لقد أضمر احتراماً كبيراً للأدب العربي والثقافة ومن أشهر كتبه "الحرب والسلام" الذي صدر سنة (1285 هـ / 1869 م) وكذلك "أنا وكراتينا" الذي عالج فيه قضايا اجتماعية وأخلاقية ولعل ما يهمنا في المقام كتابه "حجّم النبي محمد" حيث تعرض لخصال النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كما أبدى في الكتاب رأيه في الحجاب والزواج حيث كان رأياً حكيماً، ويعد الكتاب ذا أهمية في التأسيس لمعرفة الإسلام، يقول "تولستوي": "إن محمداً مؤسس ورسول الديانة الإسلامية التي يدين بها في جميع جهات الكرة الأرضية 200 مليون نفس" ¹⁷.

وهو بهذا يعترف بشكل غير مباشر بعالمية الرسالة ويعترف أصلاً بعظمة "محمد" عليه أفضل الصلاة والتسليم. ويضيف قائلاً: "ومع تقدم محمد في السن كان اعتقاده يزداد بفساد تلك الأرباب، وأن ديانة قومه ديانة كاذبة وأن هناك إلهاً واحداً حقيقياً لجميع الشعوب، وقد ازداد هذا الاعتقاد في نفس محمد حتى قام في نفسه أن يدعو أمته ومواطنيه إلى الاعتقاد باعتقاده الراسخ في فؤاده، وقد دفعه عامل داخلي إلى أن الله اصطفاه لإرشاد أمته..... وخلاصة هذه الديانة التي نادى بها محمد هي أن الله واحد لا إله إلا هو ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة".

ويقر "تولستوي" بأن أساس العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله وحده والكفر بمن سواه من الأنصاب والأوثان فمن آمن بوحداية الله فقد أمسك برأس الإيمان أصلاً وهي إشارة لقوله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً" ¹⁸.

ويواصل "تولستوي" شهادته قائلاً: "وأن الله رحيم عادل وأن مصير الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه، فإذا سار على حسب شريعة الله وأتم أوامره واجتنب نواهيه فإنه في الحياة الأخرى يؤجر أجراً حسناً..." ¹⁹.

لقد انتقل إلى الحديث عن اليوم الآخر - بمنظور الرسول صلى الله عليه وسلم - الذي يرى أن الآخرة هي دار القرار وأنه من عمل صالح فأجره في الآخرة صالح أي أن حياة الإنسان في الآخرة متوقفة على حصاد عمله الدنيوي حين يقف بين يدي ربه الرحيم العادل، ولا يتأتى ذلك إلا بالإيمان برسالة الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

والملاحظ أن "تولستوي" مطلع وبشكل دقيق على الإيمان بأركانه فهو في اعترافه موقن كل اليقين بصدق الرسالة المحمدية المبنية على أركان قوية

متينة بداية من الإيمان بالله وحده لا شريك له ونهاية بالدار الآخرة التي ينتهي إليها أمر كل إنسان.

"..... وأنه بدون الإيمان بالله وإتمام وصاياه لا يمكن أن تكون حياة حقيقية وأن الله تعالى يأمر بمحبته و محبة الناس بعضهم ،فمحبة الله تكون في الصلاة و محبة القريب تكون بمشاركته في السراء والضراء....."²⁰.

وهنا يعطينا صورة أخرى من أثر الإيمان في خلق المحبة بين العبد وربّه، والعلاقة بين الناس، فأعظم صلة بين الله وعباده هي الصلاة، وأفضل صلة بين المؤمنين هي المحبة التي بينهم فالغني يفكر في الفقير والكبير يرحم الصغير ليكونوا أمة واحدة يسودها الأمن والسلم، قال تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر ذنوبكم و الله غفور رحيم " ²¹. ".....و مما لا ريب فيه أن النبي محمد من عظام المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق وجعلها تنجح للسكينة والسلام وتفضل عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي والمدنية "²².

إن هذا اعتراف صريح بقيادة الرسول الكريم لأمته لخيري الدنيا والآخرة، دنيا تمتاز بالسكينة والسلام وترفض العنف - الذي تريد بعض الأطراف أن تلصقه بالإسلام والمسلمين - لتبتغي بذلك الرقي والتحضر بعيدا عن البذخ والترف.....

ويختتم "تولستوي" قائلا: " وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإكرام". والملاحظ أنه اعتراف بعظمة رجل بعيدا أن يكون قد أخذ بمقياس الوحي، بل بمقياس هورسمه.

3. مايكل هارت : أحد علماء أمريكا في علوم الفلك و الفضاء و عضو الجمعية الأمريكية وفروعها في علوم الكواكب، نال العديد من الشهادات في الرياضة ، الفلك و القانون ²³ ، من مواليد (1350 هـ/ 1932 م) من أهم كتبه " الخالدون مئة " حيث يستعرض فيه مئة شخصية على أساس تأثيرها في مختلف المجالات، ونجده قد اختار سيدنا " محمد " - صلى الله عليه وسلم - كأول شخصية طبعا بمقاسيه هو التي تبدولنا غير كافية على اعتبار أننا نجد " نيوتن " في المرتبة الثانية و سيدنا " موسى " في المرتبة السادسة عشر بعد كل من " كارل ماركس " " أرسطو " " لينين " و آخرين ، ولكن عزاءنا في المؤلف والمؤلف أنه عظم نبينا " محمدا " - صلى الله عليه وسلم ..

يقول هارت : " لقد اخترت محمدا في أول هذه القائمة، ولا بد أن يندش كثير من لهذا الاختيار ومعهم الحق في ذلك، ولكن محمدا هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح على المستويين الديني والدنيوي " ²⁴.

وإذا كان " هارت " قد جعل من نبي الإسلام رقم (01) فهذا أمر يرضي المسلمين، لكن اختياره قد سبب صدمة لغير المسلمين خصوصا اليهود والمسيحيين الذين اعتبروا ذلك خلافا جسيما، هل يكون " عيسى " رقم (03) ، وموسى - عليه السلام - رقم (16) ؟ أمر يصعب تصديقه.

إن " هارت " وهو يوضح لنا الأسباب التي حدثت به إلى هذا الترتيب من خلال رؤيته ليس مطلوبا منا أن نتفق معه في كل ما ذهب إليه، ولكننا لا نستطيع أن نمتنع عن الإعجاب بالبحث.

إن الدهشة في اختياره للشخصيات جعلت نبينا " محمدا " - صلى الله عليه وسلم - الأول وبهذا التأكيد أدلى بشهادة شهد الله بها لنبيه قبل ذلك ²⁵ ، يقول تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله

واليوم الآخر و ذكر الله كثيرا " ²⁶ . يضيف هارت قائلا: " وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا ودينيا...."

إنه اعتراف صريح بعظمة الإسلام وعظمة نبيه وقدرة الرسول عليه الصلاة والسلام على القيادة السياسية والعسكرية والدينية.

" و بعد ثلاثة عشر قرنا من وفاته فإن أثر محمد ما زال قويا متجددا ، وهي شهادة أخرى على استمرار هذا الدين باستمرار القرآن وحفظه ، قال تعالى : " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ²⁷ .

".....وأكثر هؤلاء الذين اختبرتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيا وفكريا إلا " محمدا " فقد ولد سنة (570 م) في " مكة " جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة ، الحضارة ، الثقافة والفن " ²⁸ .

إنها الخصوصية التي تميز رسولنا الكريم من حيث المكان الذي ولد فيه أو الزمن الذي ولد فيه ، فمن حيث الزمن فترة تصل إلى ستة قرون من بعثة آخر نبي وهو " عيسى " - عليه السلام - ، ومن حيث المكان فهو يشير بغير علم إلى قول الله تعالى - على لسان سيدنا " إبراهيم " - : " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع.. " ²⁹ وهي إشارة إلى " مكة " .

" وربما بدا شيئا غريبا حقا أن يكون الرسول " محمد " على رأس هذه القائمة رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين ، وربما بدا غريبا أن يكون الرسول هو رقم (01) في هذه القائمة بينما " عيسى " رقم (03) و " موسى " رقم (16) لأن الرسول كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لـ " عيسى " في الديانة المسيحية " ³⁰ .

فوضع " المسيح " في المركز الثالث يضع أمامنا نحن المسلمين سؤالاً بالغ الأهمية: لماذا ينشر مؤلف أمريكي كتاباً يباع بـ (15 دولاراً) للنسخة الواحدة ثم يجازف بأن يقول في كتابه كلاماً من شأنه أن يثير ويغضب حفيظة القراء الذين يتوقع بشراء كتابه ذاك³¹؟ والإجابة في ثنايا القول الذي قاله.

" والقرآن الكريم نزل على الرسول كاملاً وسجلت آياته وهو ما يزال حياً وكان تسجيلاً في منتهى الدقة فلم يتغير منه حرف واحد وليس في المسيحية شيء مثل ذلك، لذلك كان أثر " محمد " على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه " عيسى " على الديانة المسيحية "³².

وهي شهادة أولاً على حفظ كتاب الله واستمرارية دينه مصداقاً لقوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً "³³. و" كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن إسبانيا دون أن يتزعزع حركاتها الاستقلالية رجل مثل " سيمون بوليفار ".... ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو..... وعن العرب عموماً وعن إمبراطوريتهم الواسعة، دون أن يكون " محمد ".... فلم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به... "³⁴.

وهذا اعتراف آخر بتأثير " محمد " - صلى الله عليه وسلم - في العرب في شبه جزيرتهم، هذه العظمة التي تعددت جوانبها الأخلاقية بصدقه وأمانته، لأنه حقق الانتصارات المتعددة مستعيناً بالله واعتماده عليه مستنيراً بالقرآن الكريم متيقناً بعون الله له شعاره " لا تحزن إن الله معنا "³⁵.

"فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمدا هو أعظم الشخصيات أثرا في تاريخ الإنسانية كلها" ³⁶.

فالرسول كان دوما يقول أنا بشر رسول وبالتالي جمع بين الدين والدنيا مصداقا لقوله تعالى: "ولا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله إليك" ³⁷.

4. توماس كارليل: (1209 هـ/ 1795 م _ 1297 هـ / 1881 م) فيلسوف

ومؤرخ وأديب إنجليزي من أبرز شخصيات القرن التاسع عشر وكان

منتقدا للمجتمع الإنجليزي، وكان يؤمن بأهمية ودور البطولات

والشخصيات القيادية في صناعة التاريخ وإصلاح المجتمع، وكان

كارليل "من أبرز شخصيات عصره وتأثر به الكثيرون مثل: "جون

ريكسون" و "مانيو أرنولد" ³⁸.

وكتابه الذي اعتمدته لمعرفة آرائه عن الرسول الأكرم - صلى الله عليه

وسلم "محمد المثل الأعلى" الذي يعد من أهم الكتب التي رصدت حياة

الرسول ومست جميع جوانب حياته داخل قومه، ومع زوجته "خديجة"

ومعاناته في تبليغ رسالته وأهم خصاله التي ميزته كرسول، وأحاول أن أنتقي

بعضا من هذه الاعترافات المنصفة لنعرف كيف استطاع نور الله أن يلج إلى

قلوب اعترفت بالحق.

يقول "كارليل": "يقينا إنه من المحال أن يكون كاذبا فإنني أرى الصدق

أساسه وأساس كل ما به من فضل ومحمدة" ³⁹.

فها هو ذا "كارل ليل" يقف على صفة أساسية في شخص الرسول

الكريم ألا وهي الصدق وهو يثبت بذلك ما كانت تصف به قريش إمام

العالمين "الصادق الأمين"، وهي صفات أساس لأي شخص كان فكيف إذا

تعلق الأمر برسول الله؟.

"والرجل العظيم في نظري مخلوق من فؤاد الدنيا وأحشاء الكون، فهو جزء من الحقائق الجوهرية للأشياء، وقد دل الله على وجوده بعدة آيات أرى أن أحدثها وأجدها هو الرجل العظيم الذي علمه الله العلم والحكمة فوجب إلينا أن نصغي إليه قبل كل شيء..... وعلى كل ذلك فلسنا نعد محمدا هذا قط رجلا كاذبا متصنعا يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغية أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان أو غير ذلك ما الرسالة التي أداها إلا حق صراح كلا ما محمد بالكاذب ولا الملفق وإنما هو قلعة من الحياة قد تفتقر عنها قلب الطبيعة فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع ذلك أمر الله ..."⁴⁰.

كان رسول الله صاحب رسالة وبالتالى كان هدفه إرضاء الله ولم يلتفت إلى كل ما يثنيه عن هدفه، فها هي ذي قریش تعرض عليه الدنيا فيقول و بأعلى صوته : " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على إن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته "⁴¹، ويشهد "كارليل " أن الرسول بحق سيد ولد آدم في نسبه وتربيته وأخلاقه.

"ثم لا ننسى شيئا آخر أن محمدا لم يتلق دروسا على أستاذ أبدا ويظهر لي أن الحقيقة هي أن محمدا لم يكن يعرف الخط والقراءة وكل ما تعلم هو عيشة الصحراء أحوالها وكل ما وفق إلى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينه ويتلقاه بفؤاده.... نعم إنه لم يعرف من العالم ومن علومه إلا ما تيسر له أن يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه في ظلمات صحراء العرب...إنه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك..."⁴².

وهي شهادة في أمية الرسول حقا ولكنها بالمقابل شهادة بأنه تلقى العلم من ربه، فلم يكن كاهنا ولا ساحرا كما وصفه قومه ولا عرافا يزعم إطلاعه على الغيب، بل رسولا من الله إلى العالمين مبشرا ومنذرا ، وما الإعجاز العلمي في وقتنا الحاضر الذي اكتشف وما زال يكتشف أسرار القرآن والسنة النبوية

إلا إثبات أن الذي جاء به الرسول ليس بالشعر ولا بالنثر وإنما هو قرآن موحى من رب العالمين لرسوله المصطفى عليه التسليم.

"و ما انفك محمد يذكر خديجة حتى لقي ربه، وأن عائشة سألته ذات يوم : ألسنت الآن أفضل من خديجة، قد كانت أرملة مسنة قد ذهب جمالها و أراك تحبني أكثر مما كنت تحبها، فأجاب محمد : كلا والله، لست أفضل منها وهي التي آمنت بي والكل كافر و منكر" ⁴³.

وهي شهادة لوفائه - صلى الله عليه وسلم - لزوجته وأم أبنائه السيدة " خديجة "، فما انفك يذكرها بعد وفاتها حافظا لذكراها غير متنكر لفضلها رغم اعتقاد " عائشة " بأنها أفضل منها، فأين نجد مثل هذا الحب في ظل حياة متشعبة حتى عند المسلمين فما بالك بغيرهم.

"وما كان محمد أخا شهوات مثلما اتهم به ظلما وعدوانا ... إذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له إلا قضاء مآربه من الملاذ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت، لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار، وإنهم ليذكرون - ونعم ما يذكرون - أنه كان يصلح و يرفؤ ⁴⁴ ثوبه بيده، فهل بعد ذلك مكرمة أو مفخرة؟"

ويواصل قائلا: " فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله قائم النهار ساهر الليل دائبا في نشر دين الله، غير طامح إلى ما يطمح إليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيف ما كانت، رجل عظيم وريكم وإلا فما كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما وإكبارا وإعظاما، وما كان يمكنه أن يقودهم ويعاشرهم معظم أوقاته، ثلاثا وعشرين حجة وهم ملتفون به يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله، لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة وبادة

وعجرفية وكانوا حماة الأنوف، أباة الضيم وعرو المقادة صعب الشكيمة، فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا، فذلکم وأيم الله بطل كبير، ولولا ما أبصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا أذعنوا وكيف وقد كانوا أطوع له من بنانه " ⁴⁵ .

وبعد استعراضنا لأقول هؤلاء المنصفين، يخيل إلينا وكأننا نقرأ لمسلمين فعلا. لقد تقاطعت أقوالهم في حق الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حيث احترامه وتبجيله والاعتراف برسائله ونبل أخلاقه وعلاقته الواضحة بربه، وصفاء سريرته وحبه للناس وخوفه عليهم وتبليغهم دين الله بيسر مبشرا وميسرا ساعيا لجمع الكلمة والكلمة الجامعة خدمة لأمتة والناس أجمعين.

إذا كان هذا قول-هؤلاء الأعلام في أقوامهم في حق نبينا - صلى الله عليه وسلم - فإن احترامه مستمر باستمرار الزمن حيا وميتا.

إن الذين يعتقدون أن الاحترام والتعظيم الذي يستحقه الرسول - صلى الله عليه وسلم - مرتبط بحياته فقط، فقد أخطأوا فاحترامه بعد موته وتعظيمه وتوقيره أمور لازمة كما في حياته، وخاصة عند ذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته وتعظيم أهل بيته، قال عليه أفضل الصلاة والتسليم : " البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي " ⁴⁶ .

قال " أبو إبراهيم التجيبي " ⁴⁷ : " واجب على كل مؤمن متى ذكر - صلى الله عليه وسلم - أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر، ويسكن من حركته، يأخذ من هيئته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله تعالى " ⁴⁸ .

وفي مناظرة بين " مالك بن أنس " و " أبو جعفر المنصور " أمير المؤمنين آنذاك في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال " مالك " : " يا

أمير المؤمنين ، لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوما فقال :
 " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ... " ⁴⁹ و مدح قوما فقال : " إن الذين
 يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم
 مغفرة أجر عظيم " ⁵⁰ ، و ذم قوما فقال : " إن الذين ينادونك من وراء
 الحجرات أكثرهم لا يعقلون " ⁵¹ ، و إن حرمة ميتا كحرمة حيا ، فاستكان له
 " أبو جعفر " ⁵² .

و كان مالك - رضي الله عنه - إذا ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم -
 يتغير لونه و ينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه ، ف قيل له يوما في ذلك ،
 فقال : " لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون ، ولقد كنت أرى محمد بن
 المنكدر و كان سيد القراء لا تكاد تسأله عن حديث أبدا إلا و يبكي حتى
 نرحمه " ⁵³ .

و هناك نماذج أخرى عن مدى تعلق الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 و مدى تعلقه بهم ، فأين نحن من هؤلاء و ما السبيل ليسكن حب
 الرسول - صلى الله عليه وسلم - قلوبنا كما سكن قلب " عمر " - رضي الله
 عنه - مثلا ، حتى نفديه بأنفسنا و نسير على طريق الهدى - كما يجب - و لا
 نزيغ مصداقا لقوله عليه أفضل التسليم : " تركتم على البيضاء ليلها
 كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " ⁵⁴ .

و " محمد بن عبد الله " رسول الله الخاتم لجميع الديانات التي جاء بها
 الرسل قبله ، و لإسلام يدعوننا إلى الإيمان بهم و هو جزء من ديننا الحنيف
 فالأنبياء كلهم سواء ، قال تعالى في آخر سورة البقرة : " آمن الرسول بما أنزل
 إليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد
 من رسله " ⁵⁵ ، فهم أفضل الخلق و خيرته و حملوا رايات الحق لكمال إيمانهم

وحسن أخلاقهم ومعرفتهم لله حق المعرفة بأسمائه وصفاته وصبرهم على الدعوة إلى الله .

إن حقوق الأنبياء علينا أن نؤمن بهم إذ لا يصح الإيمان إلاّ بالإيمان بهم وتصديقهم وتوقيرهم والصلاة عليهم متى ذكروا، وحسن الخلق معهم فهذا هو ديدان المسلمين إذ لا يفرقون بين " موسى " و " عيسى " و " محمد " - عليهم جميعا أفضل الصلاة وأزكى التسليم - فإذا كان النصارى لا يتعرضون لـ " عيسى " بأي أذى ولو بشكل ظاهري لأن ما وصلهم عنه محرف فالأولى بهم أن لا يتعرضوا لنبينا باعتباره خاتم الرسل، بل وأكثر من ذلك تمادوا في تقديس " المسيح " واعتبروه ابن الله ، قال تعالى: "وقالت النصارى المسيح ابن الله"⁵⁶ ، ونفس الصورة تتكرر مع " موسى " - عليه السلام - ومع اليهود.

إن الملفت للانتباه أن المسلمين لا يتعرضون للأنبياء بسوء بل يكرمونهم باعتبارهم رسلا من عند الله، ختمهم نبينا والتقى بهم في رحلة الإسراء والمعراج وأمهم في المسجد الأقصى، فنحن نؤمن بهم ونحترمهم كما أن الأنبياء أنفسهم بشروا بقدوم الرسول وآمنوا به قبل أن يروه، قال رسول الله في حديثه: " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا فإنكم إما أن تصدقوا بباطل أو تكذبوا بحق فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلاّ أن يتبعني "⁵⁷.

إن أهل الكتاب الحقيقيين يدركون إدراكا كلياً برسالة " محمد " وبأنه النبي الخاتم، ولكن الأخبار والرهبان عملوا على تحريف الحقائق على دراية و علم، والمناظرة الشهيرة بين الإمام " محمد عبده " وبعض اليهود والنصارى تشرح البون الشاسع بيننا وبينهم . قال تعالى: " إن الله اصطفى آدم ونوحا و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم "⁵⁸.

لقد خلق التحريف في الديانات السابقة فجوة جعلت من أتباعهم أعداء بدل أن يكونوا إخوة رغم اختلاف الرسل وأوجدت ثغرة واسعة تسببت في الكثير من الأذى لشخصه الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

والمتتبع لإيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - سيكتشف أن هذا الأمر ليس وليد الساعة بل ارتبط ببداية الدعوة إلى الله، وما قام به الجاهلون لرسول الله سواء بالصور الكاريكاتورية والفيلم الأخير المسيء للرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فهذه حلقات لمسلسل بدأ ولن يتوقف بتغير الزمان والمكان والوسائل .

ففي بداية الدعوة كانت الإساءة مادية كإغرائه بالمال والجاه حتى إذا ما تخلى عنهم ، و المقاطعة ، وإلقاء الأوساخ على رأسه ووصفه بالساحر والكذاب والمجنون، ومسه في عرضه (حادثة الإفك)، وتتحول الإساءة إلى معنوية في الوقت الحاضر بالصور والكتابات والأفلام، ولم يكن ليتم ذلك إلا بمساعدة جهات صهيونية، وإن المسلم ليتأذى أيما أذى مما يرى ويسمع.

الخاتمة:

- يعد الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة الذي بنبوته أنار للعالمين طريقهم مصداقا لقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".
- إن جل المسلمين هم من أساءوا لنبيهم ووجهوا رسائل سيئة لغير المسلمين خاصة في الغرب الأوروبي.
- ليس كل الأوروبيين هم أعداء للإسلام ونبيه، ولكن هناك عينة استطاعت أن تتشرب من النبع الصافي فتدرك حقيقة هذا النبي.
- إن الحملة الشرسة ضد الإسلام ونبيه لن تتوقف، وتبقى مستمرة ما ساد هذا الدين.

- على المسلمين مسؤولية كبرى في التعريف بهذا الدين وبالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم.
- إن حب النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس فقط بالاحتجاجات والمظاهرات ولكن أيضا بالعمل والتفاني.
- ضرورة تصدي النخبة المثقفة خاصة للصورة السيئة التي أراد جل الغربيين ربطها بالمسلمين في ما يسمى الإرهاب "الإسلاموفوبيا".

الهوامش:

- 1- سورة الأنبياء، الآية 109.
- 2- سورة التوبة، الآية 32.
- 3- القصة كاملة في : ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، السيرة النبوية ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دارالجيل ، 1411 هـ بيروت ، الجزء الثالث ، ص 112 .
- 4- جدكم : عزكم وحظكم .
- 5- ابن هشام ، المصدر السابق، ص 20 .
- 6- البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله لاجعفي ، صحيح البخاري ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ / 1987 م، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة دمشق ، ج الثالث ، ص 1433.
- 7- Pelletan eugene , lamartine sa vie et ses œuvres. Paris 1869. pp 6-50
- 8- De Lamartine . A , histoire de la turquie , tome 1 ; librairie du constitutionnel , Paris , 1854 , page 285.
- 9- سورة القلم ، الآية 4 .

- 10- De Lamartine . A , Op, Cit 285.
- 11- Ibid.
- 12- Ibid .
- 13- Op, Cit p 278.
- 14- سورة الذاريات ، الآية 56 .
- 15- De Lamartine . A , Op, Cit 280.
- 16- حامد أحمد ، الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء ، دار الشعب ، القاهرة ، 1412 هـ / 1991 م ، ص ص 141-142 .
- 17- تولسنوي.ليو، حكم النبي محمد، ترجمة سليم قبعين، كلمات عربية للنشر والتوزيع القاهرة،(د.ط)، 2012، ص 9.
- 18- سورة النساء ، الآية 116 .
- 19- تولستوي ليو ، المرجع السابق ، ص 9 .
- 20- نفسه.
- 21- سورة آل عمران ، الآية 31 .
- 22- تولستوي ، المرجع السابق ، ص 10 .
- 23- حامد أحمد ، المرجع السابق ، ص 89 .
- 24- هارت مايكل ، الخالدون مئة أعظمهم محمد رسول الله ، ترجمة : أنيس منصور ، المكتب المصري الحديث ، (د . ت) ، د . ط ، ص 13 .
- 25- ديدات أحمد ، محمد - صلى الله عليه وسلم - أعظم عظماء العالم ، ترجمة : علي الجوهري ، مكتبة القرآن ، (د . ت) ، د . ط ، ص 21 .
- 26- سورة الأحزاب ، الآية 21 .
- 27- سورة الحجر ، الآية 9 .
- 28- هارت مايكل ، المرجع السابق ، ص ص 13-14 .
- 29- سورة إبراهيم ، الآية 37 .
- 30- هارت مايكل ، المرجع السابق ، ص ص 16-17 .
- 31- ديدات أحمد ، المرجع السابق ، ص 24 .
- 32- هارت مايكل ، المرجع السابق ، ص ص 17

- 33- سورة المائدة ، الآية 3 .
- 34- هارت مايكل ، المرجع السابق ، ص 18 .
- 35- سورة التوبة ، الآية 40 .
- 36- هارت مايكل ، المرجع السابق ، ص 19 .
- 37- سورة القصص ، الآية 77 .
- 38- كارليل توماس ، محمد المثل الأعلى ، تعريب : السباعي محمد ، القاهرة ، 1993 م ، ص 8 .
- 39- نفس المرجع ، ص 12 .
- 40- نفس المرجع ، ص ص 14-15 .
- 41- ابن هشام ، المصدر السابق ، الجزء الثاني ، ص 101 .
- 42- كارليل ، المرجع السابق ، ص 24 .
- 43- نفس المرجع ، ص 34 .
- 44- يرفؤ: من فعل رفاً بمعنى لأم خرق الثوب و ضم بعضه إلى بعض . ينظر: الفيروز أبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تحقيق : مكتبة التراث (العرقسوسي نعيم) ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، 1426 هـ / 2005 م ، ص 42 .
- 45- كارليل ، المرجع السابق ، ص 49 .
- 46- النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، سنن النسائي الكبرى ، دار الكتب العلمية ، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1411 هـ / 1991 م ، الجزء الخامس ، ص 34 .
- 47- إسحاق بن إبراهيم بن مسرة أبو إبراهيم التجيبي الطليطلي ، الزاهد ، أحد الأعلام بقرطبة ، كان من أهل العلم والعمل ، وممن لا تأخذه في الله ملامة . وكان فقيهاً مشاوراً ، منقبضاً عن الناس مهيباً . ينظر : الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، 1405 هـ / 1985 م ، الجزء السادس عشر ، ص 107

- 48- الصالحي محمد بن يوسف الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1414 هـ / 1993م ، الجزء الثاني عشر ، ص 395 .
- 49- سورة الحجرات ، الآية 2 .
- 50- سورة الحجرات ، الآية 3 .
- 51- سورة الحجرات ، الآية 4 .
- 52- السيوطي أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، الخصائص الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1405 هـ / 1985م ، الجزء الثاني ، ص 380 .
- 53- الصالحي محمد بن يوسف ، المرجع السابق ، ص 395 .
- 54- الشيباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة ، الجزء الرابع ، (د .ت) ، ص 126 .
- 55- سورة البقرة ، الآية 285 .
- 56- سورة التوبة ، الآية 30 .
- 57- أحمد بن حنبل ، المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص 338 .
- 58- سورة آل عمران ، الآية 33-34 .